الموقف الأمريكي من الثَّورة السُّوريَّة

عزت السيد أحمد
باحث سياسي

ملخص

تعدّ آفة الثَّورة السُّوريَّة وآفة العرب والمسلمين أنَّهم ينطلقون من أنَّ أمريكا (المارد) هي الحاكم بأمر الله في الأرض؛ فلا يكون إلا ما تريد أمريكا أن يكون، وما تقوله أمريكا هو ما يجب أن يكون... ولذلك ينتظرون كلَّ ساعةٍ ما سيتمخَّض عنه الفيل أو الحمار الأمريكي من أفكارٍ وتصريحاتٍ ليكيِّفوا أفكارهم بناءً عليها، ويقدُّوا سلوكياتهم على أساسها... وهذه جريمةٍ يرتكبونها في حقِّ أنفسهم وشعوبهم وأوطانهم ودينهم.

إن الخطر والمصيبة في عدم فهم حقيقة الموقف الأمريكي من الثورة السورية هو ضياع بوصلة الثَّورة أربع سنوات حَتَّى الآن، وسعي هؤلاء التماس ما لن يلتمس، وتركهم التماس ما يمكن أو يجب أن يلتمس.

وما زال الكثيرون، وعلى رأسهم قيادات في الثَّورة السِّياسيَّة والعسكريَّة يؤمنون أنَّ أمريكا تقف مع الثَّورة السُّوريَّة... إذ ما أكثر التصريحات الإعلامية التي تشدّق بها كبار السِّياسيين الأمريكيين التي تقول: الأسد فقدَ الشَّرعيَّة، على الأسد أن يرحل...! وأكثر منها تصريحات بدعم المعارضة السُّوريَّة، أو العمل على دعمها، أو الموافقة على تدريبها.

ما حقيقة موقف الولايات المتحدة الأمريكيّة من الثّورة السُّوريّة؟

لن أتحدث عن الموقف الدولي: مؤسَّسات أو دول؛ لأنَّها صدى للموقف والإرادة الأمريكيَّة. ناهيكم عن انسجام مواقف معظم دول العالم مع صورة الموقف الأمريكي، وإن اختلفت الأسباب من دولة إلى أُخْرَى.

وعلى الرَّغْم من حصر النَّظر في الموقف الأمريكي وحدهَ فإنَّ تتبّع الموقف وتفصيلاته أمران طويلان. والمشكلة التي سنصدم بها هي تعارض حقيقة الموقف مع صورته على الرَّغْم من وجود عشرات الأدلة والقرائن

رؤية تركية
2015 - 14
131 - 113

التي تقطع بحقيقة الموقف الأمريكي من الثَّورة السُّوريَّة وتكذّب التَّصريحات الفقاعيَّة كلها.

سنفترض جدلًا أن الولايات المتحدة كانت مع الربيع العربي، ومع الثَّورة السُّوريَّة في البداية: في الأشهر الأولى فقط، لن تزيد عن أشهر عام 2011م بحال من الأحوال... بل لا مبالغة في القول: إنَّ الموقف الإيجابي

كانت أمريكا ضد الثورة منذ البداية ولكنَّ خوفها من سقوط الأسد أو هروبه جعلها تتظاهر بالوقوف مع الثَّورة... أي إنها كانت تتخوف من انتصار الثَّورة، وتسعى لعدم انتصارها

الوحيد من الثَّورة السُّوريَّة كان في الأشهر الثلاثة أو الأربعة الأولى على الأكثر، على افتراض توقعها سقوط الأسد، مثل الزعماء الآخرين في غضون أشهر قليلة. على الرَّغْم من أنَّها منذ البداية قررت نهائيًّا عدم دعم الثَّورة السُّوريَّة، وهذا ما قاله روبرت فورد السَّفير الأمريكي بدمشق في اجتماع بالمعارضة بدمشق في 16/ 7/ 2011م فيما أذكر، قال بالحرف: «لا تتوقعوا أبدًا أن تتدخل أمريكا لنصر الثَّورة السُّوريَّة»[1]. وقد أعلن ذلكَ لاحقًا في لقاء تلفازي في أواسط عام 2014م، وأضاف قائلًا: «وأعتقد أنَّهم لم يصدِّقوا كلامي؛ لأنَّهم شعروا أنَّ قضيَّة الشَّعب السُّوري هي قضية حقٍّ وعدلٍ، وفي نهاية المطاف سيضرب الأميركيون النظام بسبب الحقِّ والعدل»[2].

إذن فالحقيقة واضحة سلفًا، قررت أمريكا عدم مدِّ يد العون للثَّورة السُّوريَّة حَتَّى في عزّ وقت صدق ادعائها ذلك، إن كان هذا الادّعاء الإيجابي صحيحًا. اعتراف فورد هذا يكشف عن حقيقة الموقف، وهو أنّ أمريكا ضد الثَّورة منذ البداية، ولكنَّ خوفها من سقوط الأسد أو هروبه جعلها تتظاهر بالوقوف مع الثَّورة... أي إنها كانت تتخوف من انتصار الثَّورة، وتسعى لعدم انتصارها.

خرافة تسليح الثَّورة وإسقاط النِّظام

لا أريد الدخول في التوقعات والتحليلات الاستنتاجية، سأكتفي بالحقائق التي لا تقبل الطعن أو الشك، هذه الحقائق هي التصريحات الأمريكيَّة المباشرة التي كانت تمر مرورًا عابرًا على وسائل الإعلام وقيادات الثَّورة من دون تفكير طويل، على الرَّغْم من وضوحها. سأقف وقفة سريعة عند التَّصريحات المباشرة في هذا الشَّأن، ثم أعود إلى الموضوع من زاوية أُخْرَى.

في 18/ 7/ 2012م: قال الأمريكيون بوضوح: «لن نتَّخذ أيَّ إجراء قبل نهاية الانتخابات الأمريكيَّة»[3]؛ أي بعد سنة ونصف تقريبًا، وفي هذا إشارةٌ صريحةٌ إلى عدم التَّدخُّل وترك الأمور على ما هي عليه من قتل وتدمير، وطمأنة بشار الأسد بالمضي في مشروعه في قمع الثَّورة وتدمير المزيد من سوريا، وقد علَّقتُ حينها قائلًا: «ولن يتَّخذوا أيَّ إجراءات بعد الانتخابات...».

في 10/ 10/ 2012م: أمريكا وفرنسا تعلنان ضرورة تسليح المعارضة السُّوريَّة... وبعد يومين يعلنان أنَّ تسليحها يتنافى مع

القوانين الدوليَّة... تكرَّر مثل هذا نحو عشرين مرَّة على مدار السَّنوات الثَّلاث السَّابقة[4]. كلما ضاقت الأمور بالأوربيين وأرادوا تسليح الثَّورة يخرج الڤيتو الأمريكي من القمقم ويفرض عليهم التراجع لا عن الفعل فقط بل عن التصريح أيضًا. حَتَّى اضطر الرئيس الأمريكي أوباما شخصيًّا في 9/ 2/ 2013م إلى قطع دابر التأويل والتحليل في تسليح الثَّورة السُّوريَّة فقال: «لن نسمح بوصول أسلحة نوعيَّة إلى المعارضة بحيث تهدِّد أمن إسرائيل وأمريكا؟!». وفي منتصف أيار/ مايو 2014م ذهب إلى واشنطن أحمد الجربا رئيس الائتلاف ورجل السعودية أهم حليف لأمريكا في المنطقة والتقى بأوباما، ومع ذلكَ أخفق في الحصول على سلاح نوعي[5].

هذا الكلام الواضح لا يحتاج إلى تفسير. ثمّ ما هي هذه الأسلحة النَّوعيَّة؟ لا أحد يدري مداها ولا مستواها وطبيعتها... أمريكا وحدها تقدّر ذلكَ.

جاء التَّوضيح أكثر على لسان وزير الخارجيَّة الأمريكيَّة جون كيري الذي قال في 28/ 2/ 2013م: «لن نسلح المعارضة السُّوريَّة حَتَّى يتَّم تطهير الجيش الحرِّ من الإسلاميين»[6]؛ أي حَتَّى تتقاتل فصائل من الجيش الحر وتترك النِّظام... وهذا ما نجحت فيه أمريكا إلى حدٍّ كبير حَتَّى الآن. إذن فالمسألة حسبما أوضح كيري ليست مسألة أسلحة نوعيَّة أو عونيَّة، لن نسلح بالمطلق. وهذا يعني أنَّها ستمنع أي تسليح من قبل أيِّ طرف... طالما استطاعت إلى ذلك سبيلًا.

في 4/ 3/ 2013م بريطانيا وفرنسا تعلنان أنَّهما «ستقرِّران بعد ثلاثة أشهر تسليح الثَّورة أسلحةً غير قاتلة!»، أوَّل مرَّة في التَّاريخ نسمع عن تسليح جيش محارب بأسلحة غير قاتلة، رُبَّما كان ذلكَ بانتظار ردة الفعل الأمريكيَّة التي صدرت في اليوم ذاته عن جون كيري الذي قال: «سنعمل على دعم المعارضة السُّوريَّة وعدم تسليحها». إن تسليح الثَّورة بأسلحة غير قاتلة، وغير فتَّاكة، تكرَّر عشرات المرات على ألسنة المسؤولين الأمريكيين. ولا ندري كيف يمكن تسليح جيش في حالة حرب بأسلحة غير قاتلة، وما مغزى ذلكَ وأبعاده[7]؟!

في 13/ 3/ 2015م أمريكا تخرج عن عادتها في اللفّ والدَّوران وتمرير الرَّسائل بَيْنَ السُّطور لتدخل في الموضوع مباشرةً وتعلن بوضوح: الأسد أو نحرق البلد، الأسد أو لا أحد. وقد نشرتُ مقالًا في 11/ 10/ 2014م بعنوان: (شعار أمريكا: الأسد أو نحرق البلد)[8]. ولذلك أندهش من اندهاش السُّوريين من التَّصريحات الأمريكيَّة على لسان مدير الاستخبارات الأمريكيَّة جون برينان عن الثَّورة السُّوريَّة في 13/ 3/ 2015م إذ قال[9]:

«لا نريد إسقاط النِّظام، يجب المحافظة على المؤسَّسات السُّوريَّة»، وقال أيضًا: «إنَّ سقوط بشار الأسد سيفتح المجال أمام الجماعات الإسلامية لتسلم السلطة». وأضاف: «لسنا وحدنا الذين نرغب في ذلكَ؛ بل إنَّ روسيا والصين ودول غربية وعربية كثيرة، تؤمن بذلكَ وتريده».

وتكتمل دائرة الخداع والتَّضليل، وتنكشف الألاعيب الأمريكيَّة في القسم الثاني من التَّصريح، فهو لن يسمح بسقوط الحكومة ولا مؤسسات الدَّولة، وسقوط

الأسـد أمرٌ غـير مقبـول... ومع ذلـكَ يتابع قائـلًا: «ولكنَّنـا سـنزوِّد المعارضـة بأسـلحة غير فتاكة!»، وأضاف على نحو مسـتقلٍّ أمرًا غريبًـا، فقـال: «يجـب علينا تزويـد المعارضة المعتدلـة بالسِّـلاح كـي لا تسـمح لغيرهـا بالزحف إلى دمشق!».

وبعد هذا بيومين؛ أي في 15/ 3/ 2015م خرج جون كيري وزيـر الخارجيَّة الأمريكي ليؤكـد تصريحـات برينـان، ويعلـن بوضوح قائـلًا: «لا بُـدَّ مـن دخـول أمريـكا في حوار مبـاشر مع نظام الأسـد»[10]. وأضاف لازمةً الفتنـةً والتضليـل: «ولكنَّ ذلـكَ لا يعني أيَّ تغيُّرٍ في موقف واشنطن من الأسد!».

وعندما استنكر الأوروبيون هذا التَّصريح وحاولوا إيجاد تخريج مناسب له بأنَّهُ لا يقصد بشـار الأسـد بشـخصه وإنَّما يقصـد النِّظام. عـاد جـون كـيري ليصفعهـم في اليـوم التَّالي 17/ 3/ 2015م بتوضيـح قصده، قائلًا: إنَّهُ «يعني الحوار مع شخص بشار الأسد»[11].

وفي 5/ 4/ 2015م نـشرت جريـدة نيويـورك تايمـز الأمريكيَّـة لقـاء طويـلًا مع الرئيـس الأمريكـي بـاراك أوبامـا يعنينا منه تنصله من المسؤولية، بإلقاء اللوم على الدُّول العربيَّة في عدم وضع حدٍّ للمأسـاة السُّوريَّة، إذ أعلـن شـعوره بخيبـة الأمـل مـن العرب الذين ينتظـرون منـه الإذن والتَّوقيع على أيِّ فعل عليهم أن يقوموا به. وتساءل عن السَّبب في عدم قيام العرب بعمل ما لوقف انتهاكات حقوق الإنسـان التي يرتكبها نظام بشار[12]. وكأنَّه يجهل كل الممارسات الأمريكيَّة السَّابقة ضدَّ الثَّورة السُّوريَّة.

ومـع ذلكَ فإنَّ خيبة الأمل الأوباميَّة هذه تضعنا أمام ضغوط بعض الدُّول العربيَّة على الإدارة الأمريكيَّـة مـن أجل فـرض مواقف معيَّنـة عليهـا تجـاه الثَّـورات والربيـع العربي خوفًـا من وصول الإسـلاميين إلى السُّـلطة، وفقًـا لاعـتراف وزيـر الدِّفـاع الأمريكـي الأسبق روبرت غيتس من أنه «تلقى مكالمات شـخصيَّة من عـدد من زعـماء دول خليجيَّة، وضغوطـات مبكـرة لمنـع الإطاحـة بنظـام مبـارك، والحيلولة دون وصول الإسـلاميين للحكـم»[13]. وبعـد أشـهر من ذلـكَ تحدث الدكتـور خليل العناني عن محاولات خليجية لتوجيـه النقـاش داخـل مراكـز الأبحـاث الأمريكيـة إلى أنَّ الديمقراطية غير صالحة في المنطقة، وأنها تـأتي بتيارات معادية للولايات المتحدة[14].

عـلى أيِّ حـالٍ لا أحد يعتب عـلى أمريكا لأنَّهَـا لم تتدخـل، هـذا حقُّهـا، فـما مصلحـة أمريـكا في التَّدخـل في سـوريا؟ لا الأرض أرضهـا ولا الأهل أهلها ولا هي تخسر شـيئًا مما تخسره سـوريا. ولكن الحقيقة المرة هي أنَّها

وقفت ضد الثَّورة السُّوريَّة بكل الوسائل والسبل.

إعادة تأهيل النِّظام

كتبت مرارًا وأعيد: لا مشكلة في الحل السِّياسي، ولم تكن الثَّورة في مراحلها كلِّها ضدَّ الحلِّ السِّياسي، ولكنْ متى أبدى النِّظام أي استعداد للحل السِّياسي؟ وهل ترك النِّظام مجالًا للحلِّ السِّياسي؟

فكرة الحلِّ السِّياسي طرحتها دولٌ عربيَّةٌ محدَّدةٌ في أوائل الثَّورة سرًّا. وقد أرادت هذه الدُّول العربيَّة إعادة إنتاج الحلِّ اليمنيِّ في سوريا لوضع حدٍّ للربيع العربي، والقول إنَّ ظاهرة الثَّورة انتهت ولا جدوى لها طالما أنَّها ستنتهي بمصالحة بَيْنَ النِّظام والشَّعب. هذه الدول العربيَّة دفعت بهذا الاتجاه وصارت تروج له في وسائل إعلامها تلميحًا لـرَوْز قابليَّة الشَّعب والثَّورة لهذا الحّل وتعويده عليه. وسرعان ما تبنت أمريكا والمجتمع الدولي وكثير من الدول الغربيَّة هذا التوجه الذي بدأ عمليًّا مع المبادرة العربيَّة[15]، ووفد المراقبين العرب بقيادة الجنرال الدَّابي في أواخر عام 2011م[16]. وبدأ التَّرويج لهذا الطَّرح بتأنٍّ وتمريره من خلال تسريبات وتلميحات مختلفة، وبدأ الوضوح في الطَّرح بالترويج وإشاعة استحالة الحسم العسكري من الطَّرفين منذ أواسط عام 2012م، حَتَّى وصل الأمر إلى التَّصريح به في عام 2013م، وإلى أنَّهُ الحل الوحيد منذ عام 2014م.

في 12/ 12/ 2012م تسربت بعض الأخبار التي توحي بوجود طبخة أمريكيَّة روسيَّة لفرض حكومة وفاق من النِّظام والمعارضة وبقاء كلِّ شيء على ما هو عليه.

في 28/ 12/ 2012م كتبُت استقراءً: هناك مشروعات قذرةٌ أمريكيَّةٌ إسرائيليَّةٌ أوروبيَّةٌ باشتراك دول عربيَّة كبرى في موضوع دفع سوريا نحو محاصصةٍ طائفيَّة وعرقيَّة...

ومنذ ذلكَ الحين إلى الآن أخذت السِّياسة الأمريكيَّة تصرح بوجوب الحلِّ السِّياسي[17].

ربما يقول متنطعٌ: إن أمريكا لجأت إلى هذا الموقف لأنَّ البديل هو الإسلاميون، أو داعش حاليًّا كما تبدي لوحة المشهد العام. وهذا الادعاءُ باطلٌ، لأنَّ الموقف الأمريكي من بشار الأسد وحمايتها له كان قبل ظهور الإسلاميين وداعش في المشهد الثَّوري السُّوري. إنَّ تصريحات كيري منذ تسلمه وزارة الخارجيَّة، وقبله تلمحيات هيلاري كلينتون، وتصريحات النَّاطقين باسم الخارجيَّة والبيت الأبيض والبنتاغون وعلى رأسهم جميعًا باراك أوباما منذ نحو ثلاث سنوات كانت توحي إيحاءً مباشرًا بأن الولايات المتحدة متمسكة بنظام بشار الأسد، وأنَّها تريد فرض حلٍّ سياسيٍّ، بدا

أنَّها تريد منه فرض بقاء بشار بشروط بشار نفسه أو بشروط أمريكا. حَتَّى علّق سوريون أحرار، لم يبقَ إلا أن يصرخ أوباما ويهتف: «الله وسوريا وبشار وبس، الأسد أو نحرق البلد، الأسد أو لا أحد». بل نشروا له لوحات كاريكاتيرية بهذا الشكل. وفي يوم الخميس 13/ 11/ 2014م، خرج وزير الدفاع الأمريكي تشاك هيغل ليقول: «إذا سقط بشار الأسد، من سيحلُّ محلَّه؟ لا بديل!»[18]. إذن في سوريا من يرأسها –يا هيغل– سوى بشار الأسد! وهذا ما كان يقوله أنصار بشار منذ بداية الثَّورة: «إذا ذهب بشار الأسد من سيحكم سوريا؟ هل من بديل؟».

المصادرة على المطلوب

المصادرة على المطلوب اصطلاحٌ منطقيٌّ قديم لا حديث، لأنَّها ممارسة قديمة. المصادرة على المطلوب هي فرض النتيجة المقدّمة بحيث تكون ولا يكون غيرها. هذا ما مارسته الولايات المتحدة مع الثَّورة السُّوريَّة عندما همَّشت الثَّورة ومطالبها وفرضت إيقاع ما يسمَّى الحل السِّياسي منذ البداية من خلال أربعة خطوط متوازية متلازمة؛ الخطان الأوَّل والثَّاني حزمة، والثالث والرابع حزمة، والخطوط الأربعة حزمة واحدة.

أوَّلًا: سحبُ كلمة الثَّورة من التَّداول الإعلامي والسِّياسي رويدًا رويدًا وتكريس الكلام عن معارضة ونظام. مورس هذا السلوك بدهاء في وسائل إعلام عربيَّة محددة بداية وعلى ألسنة المسؤولين الأمريكيين ثُمَّ الغربيين، ثمَّ ما لبثت المسألة أن صارت قانونًا، وغابت كلمة الثَّورة السُّوريَّة من التداول الإعلامي والسِّياسي غيابًا شبه تامٍّ منذ عام 2014م. فلا تكاد تجد اليوم من يتحدث عن ثورة سوريَّة، بل صار الحديث يدور عن الصراع الدائر في سوريا، وعن مخاطر الإسلاميين، وعن مخاطر الدولة الإسلاميَّة على الوجود البشري والكون! أمَّا الثَّورة السُّوريَّة فلا وجود لها.

ثانيًا: في السِّياق السَّابق ذاته تَمَّ تحويل الثَّورة إلى صراع، لا أعني تسليح الثَّورة، بل أعني استكمالًا لسحب اصطلاح الثَّورة السُّوريَّة من التداول الإعلامي والسِّياسي وتغييبها لصالح تكريس أنَّ ما هو قائم هو صراع سياسي وعسكري بَيْنَ معارضة وسلطة (شرعية)، من أجل المساواة بَيْنَ الجلاد والضحية، بَينَ الثَّورة والنِّظام، بَيْنَ جرائم النِّظام وجرائم الثَّورة... بدأ ذلك منذ أواخر عام 2011م على استحياء وبدهاء، وبرز ذلكَ بروزًا صريحًا عندما صارت الولايات المتحدة والأمم المتحدة تساوي بَيْنَ جرائم النِّظام ودفاع الثَّورة عن نفسها، إثر قتل أحد كبار شبيحي النِّظام في حلب زينو بري في 31/ 7/ 2012م.

لم يتوقف الأمر هنا، بل جرى العمل على شيطنة الثَّورة لتكريس فكرة الصراع وتغييب الثَّورة، تأسيسًا للحل السِّياسي الذي تخطط له الولايات المتحدة بمباركة عربية وأنظمة إقليمية محددة. ولا نزال نتذكر كيف هاج العالم كله في 15/ 5/ 2013م عندما شاع أنَّ أبا صقار انتزع قلب شبّيح وأكل منه. لم يكن المقطع قد نُشر يومها على اليوتيوب ولم يصدقه السُّوريون لولا نشره بعد ذلك بيوم أو يومين. بسبب حدث عارض هاج العالم وحارب وحشية الثَّورة والثوار السُّوريين

مـع أنَّهُ سـلوكٌ واحدٌ ومشـهدٌ واحـدٌ مقابل عشرات آلاف المشـاهد الأكثر وحشـية التي يمارسـها شـبيحة النِّظام، وتمـر دون اهتمام أو تعليق.

ثالثًـا: تقطيـع أوصـال "مـا يسـمى بالمعارضة". بـدا الصمت الأمريكي والدولي عـمَّا يحدث مريبًـا مقارنة بـما كان في الثورات العربيَّـة الأُخْرَى، فخرج على السُّـوريين من نادى بوجوب تشـكيل قيـادة تخاطب العالم، فاضطـرت الثَّـورة للموافقـة عـلى تشـكيل المجلـس الوطني ممثـلا للثَّورة. بغـض النَّظر عن ضعف آلية تشـكيله ونظامه الداخلي فقد سـلمت الثَّـورة زمامهـا للمجلـس وفوضته تفويضًا مطلقًا، وقد خصَّصت الثَّورة تسـمية جمعـة 7/ 10/ 2011م بعنـوان (المجلـس الوطنـي يمثّلنـي)، وهـذه التَّسـمية وحدهـا كانـت كافيـة للدليـل عـلى تفويـض الثـورة المجلسَ لتمثيلها.

ولكـن، كان الـرَّدُّ الأمريكـيُّ والـدَّوليُّ التشكيك في هذا التَّفويض وتماسك المجلس، وإطلاق حملة تفتيت وتشـتيت وإثـارة الفتنة وتحريـض أعضـاء وكتـل عـلى الانسـحاب منـه لتقويضـه؛ منـذ تلـكَ الجمعة ووسـائل الإعـلام تثير تسـاؤلات وإشـكالات توحي بوجود خلافات واختلافات بَيْنَ المعارضين. وكانت طائفة من المعارضين السُّـوريون التي تمولهـا جهـات أمريكية وعربية مشـبوهة تثير مشكلات توحي بوجود اختلافات صميميَّة بَيْنَ أقطاب المعارضة.

كنا نظن حينها أنَّ ذلكَ من أجل تشـتيت الرأي العام وتمييع المواقف الدوليَّة تجاه الثَّورة السُّـوريَّة. ولكنَّنـا تيقنا فيما بعـد أنَّه من أجل السـيطرة على الثَّـورة رويدًا رويـدًا، وفرض الحل السِّـياسي الذي تبنته أنظمة عربيَّة محددة وتآلفت مـع أمريكا لإيصـال الأمور إلى هذا الطريق الذي تسـعى هذه الأطراف أن يكون وحيـدًا. ففـي وقـت منـح التَّفويـض المطلق للمجلـس الوطنـي وجدنـا جامعـة الـدُّول العربيَّـة تتجاهـل المجلـس الوطنـي وتدعـو هيئـة التَّنسـيق الوطنيَّـة السُّـوريَّة للتَّفـاوض معهـا على أنَّها ممثلـة للمعارضة ورُبَّـما للثَّورة السُّوريَّة. وكذلكَ فعلت أمريكا ودول عربية في الكواليس، وروسيا وإيران في العلن.

كانوا يتذرعـون بأنَّ المجلـس الوطني لا يمثل الأطياف جميعها. وهو اعتراض مشبوه مُغْرِضٌ؛ لأسباب، منها:

أولًا: هـل نظـام بشـار الأسـد يمثـل الأطياف جميعها؟

ثانيًـا: مَـنْ قال إنَّ المجلـس الوطني يجب أن يمثـل الأطياف جميعهـا؟ المجلس الوطني يمثِّل الثَّـورة ولا يمثل شرائـح أو أقليَّات أو طوائف أو أطيافًا أو...

ثالثًـا: كيـف يجـب أن يكـون الجميـع في المجلس؟ وهـل يمكن ذلكَ أصـلًا؟ ولماذا؟ أهو مجلس قيادة ثورة أم مجلس شعب؟

مـا حـدث مـع المجلـس الوطنـي أعيـد استنسـاخه تقريبًـا مـع الائتـلاف الوطنـي الذي فُـرِضَ فرضًا على الثَّورة وعلى المجلس

بدا الصمت الأمريكي والدولي عمّا يحدث مريبًا مقارنة بما كان في الثورات العربيّة الأُخْرَى، فخرج على السُوريين من نادى بوجوب تشكيل قيادة تخاطب العالم، فاضطرت الثّورة للموافقة على تشكيل المجلس الوطني ممثلًا للثّورة

الوطني تحت مزاعم ضرورة التَّوحيد وضمِّ أطياف المعارضة، وأنَّ العالم لن يدعم الثَّورة إلا بعد أن تكون المعارضة تحت رايةٍ واحدةٍ وهيئةٍ واحدةٍ. وعجبًا من هذا الحرص المشبوه من دول العالم على وحدة المعارضة!

أربعة وأربعون دولة وعدت بالاعتراف بالائتلاف وتسليم السفارات السُّوريَّة له إن تم تشكيله، مع وعود قاطعة بدعم الثَّورة، وتسليح الجيش الحر وغير ذلك... لم يتحقق منها شيءٌ، وما تحقَّق منها لذر الرماد في العيون نحو سفارة في فرنسا ووعد بسفارة في بريطانيا، ومكتب في تركيا، ومكتب في قطر! ناهيكم عن الطَّلبات المضحكة لأمريكا وبريطانيا من أجل الاعتراف بالهيئة... حينها أرادت بريطانيا معرفة خطة تحرك الائتلاف من أجل الاعتراف، بعدها استقبلتهم جامعة الدول العربية على الفور، ثُمَّ طردتهم على الفور أيضًا منذ ذلكَ الحين إلى اليوم[19]... وكادت الجامعة تعيد النِّظام إلى القمة العربيَّة الأخيرة في القاهرة 23-29/ 3/ 2015م[20]. ووصل الأمر بالقاهرة إلى تدخل الأمن لمنع الائتلاف من عقد مؤتمر صحفي[21]. ومنذ نحو نصف سنة والجهود الدوليَّة على أشدها لنسف الائتلاف، ولكنَّها حَتَّى الآن لم تجد البديل وإلا لفعلت... على أيِّ حال لقد أوقفوا الدعم عنه ليكون في حالة موت سريري تحت الطَّلب. وسنبيّن في الأخير كشف حقيقة الإماتة السريرية للمجلس ثُمَّ الائتلاف.

رابعًا: تشتيت ولاءات القيادات العسكريَّة للثَّورة والحيلولة دون وحدتها. ليس لدينا دليلٌ قاطعٌ هنا سوى تسلسل الأحداث، والمفهوم مما بَيْنَ التَّصريحات وما وراءها، وسلوكيات إدارة الصِّراع من أمريكا مباشرة والأنظمة الإقليميَّة المنسجمة مع أهدافها وغاياتها... وما وصلت إليه الأمور.

هذا السِّياق هنا لا ينفصل عمَّا سبق كله، والوقائع هي التي تثبت وجهة نظرنا في أنَّ الولايات المتحدة سعت لمنع وجود قيادة ثوريَّة موحدة للثَّورة السُّوريَّة، سواء على الصَّعيد السِّياسي أم العسكري. ومنذ أعلن عن مشروع تشكيل قيادة أركان بدت البوادر للمتابعين التي تقول إنَّ تشكيل هيئة الأركان ليس لدعم الثَّورة وإنما لمحاصرتها، ووضعها تحت السَّيطرة، وتجفيف منابع دعم الثَّورة، ووضع اليد عليها؛ لتعزيز من يسمع الكلام وتهميش وتهشيم من لا يسمع الكلام، وهذا كله ما كان. وقد مورس ذلكَ بدهاء ولكنَّهُ دهاء مفضوح. أصلًا، إذ لا يمكن أن يتم المشروع الأمريكي/ العربي للثَّورة السُّوريَّة ما لم يتم فعل هذا الأمر. لأنَّ وحدة الثَّورة ستحسم الأمر سريعًا، وهم يدركون ذلكَ جيدًّا.

لن أطيل في التفاصيل، ففي 25/ 2/ 2013م صرّح ناطق باسم الأبيض أنَّ «الولايات المتحدة الأمريكيَّة مستعدَّةٌ لتدريب الجيش الحر!»... وبعد سنة وربع من نشاط الجيش الحر وانتصاراته المتتالية خرج الأمريكيون من الجحر ليعلنوا استعدادهم لتدريب الجيش الحر. ولذلك علق الثوار ساخرين: لعلهم يقصدون موافقة الجيش الحر على تدريب الجيش الأمريكي. وفي الجمعة 21/ 6/ 2013م، أي بعد أربعة أشهر من ذلكَ ذكرت صحيفة لوأنجلوس تايمز أن المخابرات الأمريكية والقوات الخاصة

الأمريكيـة تقوم بتدريـب الجيش الحر سرًّا في الأردن منذ أكثر من سـنة[22]! كيف اسـتوى هذا التَّناقض؟ بل أضافت الصَّحيفة نقلًا عن مسؤول أمريكي أن قوات من الجيش تدربت على مضادات الدروع ومضادات الطائرات، وهـي الأسـلحة التـي لم تسـمح بهـا أمريـكا للثورة حَتَّى هذه اللحظة!

منـذ ما قبل هذا التاريخ وإلى الآن أعلنت الإدارة الأمريكيَّـة مـرارًا أنها: «سـتخصص خمـس مئـة مليـون دولار لدعـم المعارضـة السُّـوريَّة المعتدلة» وكلما مرّ شـهران أو ثلاثة أشهر، واسـتجدَّ مستجدٌّ يعود الأمريكان إلى أسـطوانتهم القديمة: «سـنبدأ دعم المعارضة المعتدلة... سنسلح المعارضة المعتدلة بخمس مئة مليون دولار!».

وفجـأة في 16/ 9/ 2014م أي بعـد أكثـر مـن سـنتين مـن مسلسـل التصريحات أعلـن الكونغـرس أنَّـهُ «سيسـمح بتدريـب المعارضة المعتدلة بمبلـغ أولـيٍّ قدره خمس مئة مليـون دولار»[23]. وهـذه أوَّل مـرَّةٍ يقرُّ فيها الكونغرس بذلك.

ومـع ذلـكَ، لم يُـصَرف المبلـغ، بـل ظـلَّ موضـوع تصريحـات لا تنتهـي، ففـي يـوم الجمعـة 10/ 10/ 2014م أعلنـت وزارة الخارجيـة الأميركيـة «أنَّ تركيـا وافقـت على طلـب أمريكا دعم تدريـب وتجهيز المعارضة السُّـوريَّة المعتدلـة»[24]، وعلى الرَّغْـم من أنَّهُ بعد أسـبوعين أعلنـت الإدارة الأمريكيَّة أنَّها سـتبدأ بتدريب المعارضة السُّوريَّة المعتدلة في شـباط 2015مـ- أعلنـت وزارة الخارجية الأمريكيـة في منتصـف شـباط 2015م على لسـان الناطقة جينفر بسـاكي أنَّهُ تـم التوافق مع تركيا على تدريـب المعارضة المعتدلة، رُبَّما بعـد آذار القادم[25]. وتكتمل الطرافة أنَّهُ بعد شـهرين مـن ذلـكَ في 7/ 5/ 2015م أعلن مسـؤول بوزارة الدفاع الأمريكية أن تدريب

الحرب على الدولة الإسلامية جاءت خدمة للنِّظام السُّوري، ففي 2014/11/19م قال روبرت فورد السفير الأمريكي السابق بدمشق: «إنّ الضربات الجوية الهادفة إلى تحطيم قوّة تنظيم الدولة، تعزز نظام بشار الأسد»

المعارضة السورية المعتدلة سيبدأ الأسبوع المقبل[26].

وفي الوقت ذاته في 23/ 10/ 2014م نشرت واشنطن بوست أنَّ «الجيش الأمريكي سيدرب المعارضة السُّوريَّة على الدِّفاع عن المناطق الموجودة فيها، وليس على الهجوم». جاء ذلكَ في فترة الانشغال الكوني بكوباني! وبعد سبعة أشهر من ذلكَ، في 9/ 5/ 2015م، تكرر الاشتراط نفسه على لسان المتحدثة باسم وزارة الدفاع الأمريكيَّة البنتاغون إليسيا سميث التي قالت: «سيعمل برنامج تدريب وتجهيز وزارة الدفاع على تعزيز قدرات مقاتلي المعارضة السورية المختارين في نواحي القدرة على حماية الشعب السوري من هجمات داعش، وتحقيق الأمن في المناطق التي يسيطرون عليها، إضافة إلى تعزيز قدرتهم على الدِّفاع عن الشعب السوري ضد أيِّ تهديدات إرهابية، وخلق ظروف من أجل إيجاد حل للأزمة السورية عن طريق المفاوضات»[27]. أي هجمات النظام كلها ليست إرهابية، وخارج الحسابات الأمريكية، ولا يسمح للجيش الحر بالدفاع عن نفسه أمام النِّظام!

وبعد شهر كامل تمامًا من منشور واشنطن بوست لتأهيل الجيش الحر للدفاع فقط وليس للهجوم، أي في 22/ 11/ 2014م كان لاري كورب مساعد وزير الدفاع الأمريكي السَّابق ضيفًا على قناة الجزيرة الفضائية، وشرح المخطط الأمريكي بوضوح لا لبس فيه، مؤكدًا ما ذهبتُ إليه مرارًا هنا وفيما سبق. إذ قال: «الولايات المتحدة تريد تأمين الاستقرار في العراق، ثمَّ تتفرغ لتدريب الجيش الحر!»[28]. أي بعد عقود! فقد قال أوباما في بداية الحملة إنها تحتاج إلى ثلاث سنوات على الأقل، وفي مؤتمر جدة في بداية الحرب على الدَّولة أجمع المؤتمرون على أنَّ الحرب تحتاج إلى عشر سنوات على الأقل. ثُمَّ إن وزير الخارجية الأمريكي نفسه قال إنها تحتاج إلى أكثر من عشر سنوات، وعندما عرض خطته على الكونغرس في كانون الأول 2014م[29]– استنتج الكونغرس أنَّها تحتاج إلى أكثر من ثلاثين سنة. وفي 6/ 2/ 2015م قال جون جينكز السَّفير البريطاني السَّابق في السعودية: «تحتاج الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية إلى خمس عشرة سنة».

وزاد الأمر وضوحًا أن الحرب على الدولة الإسلامية جاءت خدمة للنِّظام السُّوري، ففي 19/ 11/ 2014م قال روبرت فورد السفير الأمريكي السابق بدمشق: «إنَّ الضربات الجوية الهادفة إلى تحطيم قوَّة تنظيم الدولة، تعزز نظام بشار الأسد»[30]. وأضاف فورد أمام جلسة بعنوان (الخطوات القادمة في السِّياسات الأميركية تجاه سوريا والعراق)، نُظمت في لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الأميركي: «لقد أضرت الضربات الجوية في سوريا بالمعارضة المعتدلة، وقللت

مـن مصداقيتهـا... إننا نسـاعد نظام الأسـد بشـكل مباشر عندما نـضرب أهداف داعش شرق سـوريا». ولمثـل ذلـكَ اسـتقال وزيـر الدفـاع الأمريكـي تشـاك هيغـل في تلـك الفترة.

وفي 16/ 11/ 2014م كانـت الصاعقة التي أثارت جدلًا عالميًّا، وصدرت عن أوباما ذاتـه في مؤتمره الصحافي الـذي خرج فيه عن طوره بسبب سـؤال طالما عُرض على الإدارة الأمريكيَّة. سـألته إحدى الإعلاميَّات: «هل لـدى الإدارة الأمريكيَّـة أيَّ مخطط للإطاحة ببشـار الأسـد؟». أوبامـا الهـادئ لم ينتظـر الإعلاميَّـة تكمل السـؤال حَتَّـى أجابها بنبرة غضـب واسـتياء بـدت واضحة عـلى وجهه قائلًا كلمة واحدة بغضب ووجوم: (لا).

هذه الإجابة أثارت اهتمامًا عالميًّا واسـعًا، ودعـت بعـض المحطـات التلفزيونيَّـة علماء نفس لاسـتكناه أبعاد هذه الحالـة الانفعاليَّة. لأنَّ إجابتـه بهـذه الطَّريقـة أبـدت وكَأَنَّـهُ تعـرَّض لإهانـة شـخصيَّة بالغـة، دفعته لهذا الانفعـال الغاضب الذي استوحينا منـه أنَّهُ كاد يصفعها.

لن نتسـاءل إن كانت المعارضة السُّـوريَّة بحاجـة إلى تدريـب أمريكـي أم لا، فالواقع يشهد أنها ليست بحاجة إلى ذلك. ولن نوغل في الشَّـواهد والتَّصريحات الكثيرة التي تدور في فلك واحد هو السَّيطرة على القوى الثَّوريَّة المسـلحة ومنعهـا مـن الانتصـار، وضربهـا ببعضها لشـغلها عن إسـقاط النِّظام من أجل أغراض منهـا الحل السِّـياسي المزعوم، وعلى رأسـها عـدم السـماح بوصول شرعيـة ثوريَّة حرة إلى السلطة في سوريا.

ما الحل السِّياسي؟

حسـنًا، ولم لا يُوضَـع حـدّ لهـذا الصِّراع الذي نزف الدماء بحلٍّ سـياسيٍّ؟ ما المشـكلة في ذلكَ؟ أليس هذا أفضل من استمرار القتل والتشريد والخراب والدمار؟

نكـرر القـول: لا مشـكلة في الجلوس إلى طاولة الحل السِّـياسي. عـلى الرَّغْم من اليقين بـأنَّ النِّظـام لم يـترك مجـالًا للحل السِّـياسي. ولكن ما الحل السِّياسي المطلوب؟

المشكلة ليست في الحلِّ السِّياسي، المشكلة في مضمون الحل السِّياسي الذي تريده أمريكا إذا اسـتطاعت فرضه، أو الـذي يقبله النِّظام إذا وافق عليه، وليس بينهما كبير اختلاف من جهتَي المبدأ والنَّتيجة.

لا يمكـن فهم حقيقة الموقـف الأمريكي من دون فهم حقيقة الموقف الإقليمي العربي مـن الثَّـورة السُّـوريَّة، والخوف مـن وصول الإسـلاميين إلى السـلطة. ولا بُـدَّ مـن تأكيد الانسـجام شـبه المطلق بَـيْنَ هذيـن الطرفين مع فـروق شـكليَّة في بنيـة الانسـجام العام. والسؤال المهم هو: ماذا تريد أمريكا؟

في منتـدى للأفـكار بواشـنطن في 30/ 10/ 2014م قـال وزيـر الخارجيَّـة الأمريكيَّة جون كيري في مداخلته: «سنعمل عـلى دعـم المعارضـة السُّـوريَّة لتسـتطيع أن تفرض على بشـار الأسد الجلوس على طاولة المفاوضـات»، وفي اليوم ذاتـه قالت المتحدثة الرسـمية باسـم الخارجيـة الأمريكيَّـة جنيفر سـاكي في بيـان مكتب الخارجيـة الأمريكية: «نظام الأسـد فقد شرعيتـه منذ أمد طويل... ويجـب دعـم المعارضـة السـورية تجـاه حـل سـياسي يوقـف العنـف»[31]. ولا ننسـى أن

كيري في أوائل تصريحاته بعد تسلمه منصب وزارة كان يحمل مشروع بقاء الأسد وجلوس الثورة معه على طاولة المفاوضات[32].

ولا ننسى ما ذكرناه من تصريح مدير الاستخبارات الأمريكيَّة جون برينان في لقاء تلفزيونيٍّ، في 15/ 3/ 2015م: «لا نريد إسقاط النِّظام»، وقول جون كيري في اليوم التَّالي 16/ 3/ 2015م: «لا بُدَّ من دخول أمريكا في حوار مباشر مع نظام الأسد». وقد أزال اللبس في اليوم التالي 17/ 3/ 2015م قائلًا: «أعني بشار الأسد شخصيًّا».

هذه التصريحات الأخيرة تمتاز بوضوح لا لبس فيه، ولكنَّهَا كانت مسبوقةً بتلميحات كثيرة منذ عام 2012م على الأقل. منذ أعلن نائب الرئيس الأمريكي فيما أذكر في أوائل عام 2012م: «إنَّ بشار الأسد يدمر سوريا أكثر من اللازم»، أي أكثر مما نطمح إليه ونطمع فيه.

لا أحسب أن المطلوب الأمريكي من الحل السِّياسي سيكون خفيًّا في صورته العامَّة بعد هذا التَّمهيد. لن أقول إنَّ النِّظام السُّوري عميل لإسرائيل، ولا أريد أن أخوض غمار تفاصيل هذا الموضوع الواسع. سأنطلق من تصريح رامي مخلوف ابن خال بشار الأسد في مقابلة نشرتها جريدة نيويورك تايمز في الأسابيع الأولى من الثورة قائلًا: «لن يكون هناك استقرار في إسرائيل إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا»[33]. وعلى الفور كتبت الصحيفة الإسرائيلية يدعوت أحرونوت -إن لم تخني الذاكرة- عن الأسد والثَّورة:

«شيطان تعرفه خير من شيطان لا تعرفه»، وفي 27/ 11/ 2011م صرَّح الجنرال الإسرائيلي عاموس جلعاد قائلًا: «سقوط الأسد سيترتب عليه حدوث كارثة تقضي على إسرائيل»( )، وفي 20/ 12/ 2013م كتب إيلي بردنشتاين في صحيفة معاريف الإسرائيليَّة: «نتنياهو مقتنع بأنَّهُ هو وبوتين متَّفقان على أنَّ الأسد أفضل من البدائل الأُخْرَى في سوريا»[34].

إن ما ذكرناه هنا ليس بكثير، ولكن فيه ما يكفي لاستنتاج التصور الأمريكي للحلِّ السِّياسي، وما تريده أمريكا من الحل السِّياسي للثَّورة السُّوريَّة، على الرَّغْم من التناقض المنطقيِّ بَيْنَ الثَّورة والحل والسِّياسي، فلا تقوم ثورة من أجل حلٍّ سياسيٍّ، ولذلك حولوها إلى صراع. ومع كفاية ما سبق للاستنتاج فإن المطالب الأمريكيَّة من الحل السِّياسي لم تكن سريَّة أبدًا، وقد وضعت على الطاولة أكثر من مرَّة سبرًا وروزًا من جهة، وتأسيسًا نفسيًّا من جهة أخرى، وإلى جنبها سلة مطالب في الغرف السِّريَّة التي تديرها الولايات المتحدة بالتَّعاون مع جهات إقليمية وأوربية وفاتيكانية وشراذم مأجورة من قلب الثَّورة. والظاهر منها واضح يكفينا عناء الدخول إلى التأويل لما يدور في الغرف السريَّة.

الولايات المتحدة أمام فرصة تاريخية لتحقيق أحد أمرين مما تزعم أنَّهُ حلٌّ سياسيٌّ:

الأوَّل: أيُّ نظام بعد الأسد يجب أن يحقِّق المصالح الأمريكيَّة الإسرائيليَّة بامتياز. بغض النَّظر عما كان عليه وضع هذه المصالح قبل الثَّورة، فإنَّ أمريكا رأت في الثَّورة فرصة تاريخية لابتزاز الثَّورة والنِّظام عن طريق الفوضى والعبثية، ودعم النِّظام ودعم الثَّورة للوصول إلى حالة من الاستسلام للشروط الأمريكيَّة. وكانت دولٌ عربيَّةٌ معيَّنة عَرَضَت سلَّة مطالب على المجلس الوطني في عام 2011م من أجل دعم الثَّورة، وهي: «أمن إسرائيل، أمن العلويين، أمن حزب الله، ضمان المصالح الإيرانية، تقاسم السلطة»[36]، كانت طلبات غريبة لا أحد يصدقها، ولكنَّهَا هي الحقيقة. ولتعذُّر ضمان ذلكَ من أحد بدأ العمل على نسف المجلس الوطني وتفتيته حَتَّى إنهائه بتأسيس الائتلاف ثُمَّ هيئة الأركان، ولم يستطع الائتلاف ولا الأركان ضمان شيءٍ من ذلكَ أيضًا، فكان مصير الائتلاف والأركان التَّهميش والإماتة السَّريريَّة، والبحث عن بدائل كانت على طاولتهم أصلًا.

الثَّاني: فرضُ نظام حكم (محاصصة غالبًا) الذي سيمنع سوريا من أن تكون دولة قادرة على أي فعل لعشرات السنين. تيقنتْ أمريكا مبكرًا لأسباب كثيرة من تعذُّر تحقُّق الشَّرط الأول، فركَّزت مبكرًا على الشَّرط الثَّاني وراحت تخطِّط بهدوء له، وما زالت تسير على طريق تحقيقه. المحاصصة هي بؤرة التَّخطيط الأمريكي. الحقيقة التي يجب أن يدركها السُّوريون جميعًا هي أنَّ المحاصصة هي الهاوية التي يُراد جرَّهم إليها وتقديمها لهم على أنَّها الحلُّ الأمثل والأفضل، في حين أنَّها أخطر من بقاء النِّظام، وأخطر من كلِّ أنواع الدَّمار. وقد أعلن رينان هذه الرَّغبة والمخطَّط بخبث شديد إذ قال: «نريد حكومة تمثِّلُ جميع الأطياف»، «إنَّ تشكيل حكومةٍ من جميع الأطياف هي الحلُّ الأمثل»[37].

هذا كلامٌ خطيرٌ جدًّا. ظاهرهُ جميلٌ لمن لا يدرك السِّياسة والرؤية الاستراتيجيَّة،

لأنَّهُ ينادي بتمثيل الأطياف جميعها! والغاية ليست الحرص على الأطياف جميعها، ولا على أحدٍ منها، بل الغاية هي خلق الأوضاع المناسبة تدريجيًّا وتهيئة الشَّعب السُّوري لمرحلة محاصصة طائفيَّة وعرقيَّة ومناطقيَّة للسُّلطة بحيث تصبح سوريا مثل لبنان أو العراق، ينعدم معها وجود الدَّولة، وتنقلب السُّلطة إلى حصص تفرض ذاتها على الدَّولة بمواقفها وأيديولوجياتها ومصالحها، مثل لبنان أو العراق، فوزير الخارجيَّة العراقي وزير الأكراد لا علاقة له بالدَّولة إلا بما يتفق مع كرديته التي وضعته في السُّلطة وزيرًا، وكذلك وزير الخارجيَّة في لبنان هو مندوب الطَّائفة التي وضعته فيه ويمثِّل موقف الطَّائفة التي وضعته لا موقف الحكومة، ولذلك ما أكثر ما وجدنا موقف وزير الخارجيَّة مخالفًا لموقف رئيس الحكومة: كلٌّ يعمل لطائفته. وعلى هذا القياس بقية المناصب والوزارات.

ينبغي ألا ينخدع السُّوريون بهذه المطالب البراقة. إنَّها كمين خبيث يترصَّدُ سوريا. وسوف يستهوي الكثيرين بمظهره البرَّاق من جهة صورته بتمثيل أطياف المجتمع في السُّلطة. وأغلب الظَّن أنَّ الأقليات ستدفع بهذا الاتجاه مهما كانت النَّتائج تحت ضغط مخاوف يروِّج لها النِّظام والإدارات الغربيَّة وحَتَّى العربيَّة. هذا على الرَّغْم من أوهام التَّركيبة الفسيفسائية التي يُرَوَّجُ لَها، فالمجتمع السُّوريّ ليس فسيفسائيًّا كما يصورون، ولا يجيز تقاسم السُّلطة أبدًا على أساس التَّركيبة السُّكانيَّة؛ لأنَّ ثمانين بالمئة على الأقل عرب مسلمون (سنة) وعشرون بالمئة على الأكثر أقليات أخرى. وفي الوقت ذاته تسعون بالمئة عرب، وتسعون بالمئة مسلمون (سنة)، وهذا مثل أيِّ بلدٍ في العالم من جهة الأقليات والطوائف، فلماذا سوريا وحدها تجب فيها مثل هذه المحاصصة؟

وإني إذ أحذر السُّوريين من ذلكَ فإني أحذر الدول العربية الساعية هذا المسعى لتضع يدها على سوريا كما كانت سوريا تضع يدها على لبنان، وأذكّرها بأن ذلك لن ينجح، وأي صورة للنجاح ستكون مؤقتة تجلب الوبال والوباء اللذين يجران هذه الدول والمنطقة إلى مخاطر لن يستطيع أحد السيطرة عليها. وهذا الأمر سيكون حقيقة في حال استمرار المشي في هذا المسعى.

خاتمة

من أجل اكتمال الرؤية وتأكيد الموضوعية نشير إلى نقاط لا بد منها. على رأسها أنَّ هذا المشروع أو الموقف الأمريكي الذي بدا ثابتًا واضحًا صريحًا رافق الثَّورة السُّوريَّة من بداياتها إلى الآن ليس هو الموقف الأمريكي كله. بل ثَمَّ ارتباك وتخبط وحرج في السِّياسة الأمريكيَّة ناجمة عن تعقيدات عالمية وتهلهل أمريكي، وقد اعترف في الأشهر الأخيرة كل من جون كيري وروبرت فورد وقبلها تشاك هيغل بأنَّ الثَّورة السُّوريَّة أربكت أمريكا، وسببت لها الكثير من الحرج وخسارة الرصيد على المستوى العالمي. إنها تعقيدات عالمية وتغير موازين قوى لا يراه إلا القليلون، وفوقها خصوصية الوضع السُّوري وصعوبته البالغة جدًّا بالنسبة لموازين السِّياسة الأمريكيَّة، وبالنسبة إلى المكانة السُّوريَّة الجيوستراتيجية والجغرساسية وحَتَّى التاريخيةوالدينية.

تستطيع أمريكا وغيرها من وكلائها أن يحرّفوا الثّورة عن مسارها، أو يؤخروا النّصر، ويطيلوا عمر النّظام... ولكن لا خطيئة تمرّ من دون ثمن. قد يتأخر الثمن ولكنّهُ سيُدفع بالضّرورة. فليست أمريكا ولا غيرها من يقرّر نهاية الثّورة ولا نهاية الصّراع

لذلك كله لم يكن أمام الإدارة الأمريكيَّة إلا دفع الكرة إلى الأمام دائمًا، وترك الأمور تسير على تلقائياتها مع التدخل كلما لزم الأمر لتوجيه المسارات قدر المستطاع... والمسارات في صورتها كانت تسير وفق الرغبات الأمريكيَّة، وعلى رأسها تكريس استمرار الصِّراع من أجل استمرار تدمير سوريا، وإخراجها من التَّاريخ حَتَّى إذا سارت الأمور إلى منتهاها وجد السُّوريون أنفسهم أمام عشرات السنين من الانشغال التام بإعادة بناء الدمار الذي أقرت الأمم المتحدة بهيئاتها أنَّهُ الأكبر منذ الحرب العالميَّة الثانية.

تفتيت سوريا بالطَّريقة الأمريكيَّة، لا يعني تقسيمها بل تفتيتها لتخرج من دائرة الفعل بالمطلق. ولذلك كررت قولي على مدار سنوات الثَّورة: «إنَّ أمريكا لا تريد انتصار الثَّورة، ولا تريد سقوط النِّظام»، ولكنِّي لم أقل في مرَّة إنَّ أمريكا تريد بقاء النِّظام. أمريكا لن تسمح للنِّظام أن يبقى إلا في ظرف استمرار القتل والتَّدمير والتَّشريد للإجهاز على كل سوريا وإخراجها من التَّاريخ والجغرافيا إلى حين قبول السُّوريين بحلِّ التَّفتيت الذي أشرنا إليه؛ لأنَّ الحلول الأُخْرَى كلها لم تستطع أن تقنع المطالب الأمريكيَّة. وهي ليست مستعجلة على شيء؛ لأنَّهَا ليست مضطرةً ولا تخسر شيئًا... وفوق ذلكَ كلِّه، فإنَّ أمريكا تتحكم بقيادات الثَّورة إلى حدٍّ كبير مباشرة أو عن طريق وكلائها.

أجل، لا تخسر شيئًا! هي العبارة التي نختم بها كلامنا. فأمريكا ترى وتؤمن أنَّها لا تدفع من جيبها شيئًا، هذه حقيقة ظاهرة أكيدة، ولكنَّ الدفع سيأتي لاحقًا. وقد قلت قبلًا للمندوب الأخضر الإبراهيمي، ولاحقًا لمندوب دي ميستورا، ولعددٍ من السُّفراء الذين قابلتهم على مشارف جنيف2، بصفتي باحثًا لا بأيِّ صفةٍ ثوريَّة: «إذا كنتم تبحثون عن أمن الأقليات فأنتم واهمون، لن يؤذي أحد الأقليات أبدًا. وإذا كنتم تريدون ضمانات لإسرائيل فلن تجدوا أحدًا يقدِّمها. وإذا بقيتم كذلكَ تتخبطون فستجدون نشأة جماعات تتمنون معها تسليم سوريا لتنظيم القاعدة؛ لأنها ستبدو الأكثر اعتدالًا في العالم الإسلامي».

تستطيع أمريكا وغيرها من وكلائها أن يحرّفوا الثَّورة عن مسارها، أو يؤخروا النَّصر، ويطيلوا عمر النِّظام... ولكن لا خطيئة تمرّ من دون ثمن. قد يتأخر الثمن ولكنَّهُ سيُدفع بالضَّرورة. فليست أمريكا ولا غيرها من يقرِّر نهاية الثَّورة ولا نهاية الصِّراع، فالكلمة التي كرَّرها التَّاريخ كثيرًا حكيمة ومشهورة: «تستطيع أن تبدأ الحرب متى شئت، ولكنَّك لا تستطيع إيقافها متى شئت!». فلا بقاء النِّظام مرتهنٌ بالقرار الأمريكي، ولا انتصار الثَّورة منوطٌ بقرارها. إنّ السُّوريين وحدهم من سيصنع الخاتمة مهما كانت الاختراقات والتَّدخلات والإملاءات.

المصادر والمراجع:

(1) ـ حدث هذا الاجتماع بدمشق في 16/ 7/ 2011م، في بيت حسن عبد العظيم، رئيس هيئة التنسيق التي كانت تتشكل في ذلكَ الوقت لتكون بديلًا للمجلس الوطني الذي كان يتشكل حينها، بوصفها معارضة داخلية شريفة. وأثار وجود السفير الأمريكي في الاجتماع وسائل إعلام النظام والموالين الذي استخدموا ذلكَ للقول بأن أمريكا تقود المؤامرة على سوريا.

(2) ـ كان ذلكَ في لقاء خاص على قناة العربية في أواسط عام 2014م، عرض اللقاء في تموز/ يوليو من العام ذاته، وقد تداوله معظم وسائل الإعلام والمواقع الإخبارية حينها، منها: "موقع وطن يغرد خارج السرب" تحت عنوان: أبلغت المعارضة السورية بعدم وجود ضربة عسكرية للأسد ولم يصدقوني، رابط المقال على عنوانه في هذه الحاشية.

(3) ـ جاء هذا الكلام على ألسنة الكثير من المحللين السياسيين الأمريكيين على المحطات التلفزيونية. ومن المعروف في السياسة الأمريكية توقف الإجراءات الحاسمة قبل أشهر من الانتخابات الرئاسية وترحيلها إلى الرئيس الجديد أو الدورة الثانية للرئيس، ولكن مع الثورة السورية تم ترحيل التدخل قبل سنة ونصف، أي نصف الولاية الدستورية للرئيس. وهذا هو المستغرب نظريًّا، المعروف الأسباب عمليًّا.

(4) ـ يصعب حصر هذه التصريحات؛ لأنها تكررت عشرات المرات بل أكثر، وذلك ما بَيَّنَ عزم على التسليح وتراجع عن التسليح. على سبيل المثال في 19/ 9/ 2012م كتبت سكاي نيوز العربية: فرنسا تدرس تسليح المعارضة السورية. في 14/ 3/ 2013م كتبت بي بي سي عربي: فرنسا وبريطانيا مستعدتان لتسليح المعارضة حتى من دون موافقة أوروبا. في 29/ 3/ 2013م كتب موقع روسيا اليوم: فرنسا تتراجع عن تسليح المعارضة السورية وتطالب بضمانات. في 29/ 5/ 2013م كتبت ميدل إيست أون لاين: فرنسا وبريطانيا تلعبان دور البوكر في تسليح المعارضة السورية. وهكذا عشرات التصريحات على مدار ثلاث سنوات: سنسلح، لن نسلح، يجب دعم المعارضة، لا بُدَّ من دراسة الوضع جيدًا قبل الدعم... وقد كتبت في ذلكَ مقالًا موسعًا لدحض خدعة التسليح ومراميها.

(5) ـ قصة اللقاء وبعض تفاصيله تناوله مختلف وسائل الإعلام والمواقع الإخبارية، منها موقع تويت بوك، كتب عن ذلكَ تحت عنوان: الجربا فشل في إقناع أوباما بالحصول على أسلحة نوعية. رابط المقال على عنوانه في هذه الحاشية.

(6) ـ في هذا اليوم ذاته 28آذار مارس 2013م نشرت بعض وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت نصف هذا الكلام. كتب موقع (MTV): واشنطن: لن نسلح المعارضة السورية. جاء ذلكَ على هامش مؤتمر أصدقاء الشعب السوري المنعقد في روما عقب إعلان تشكيل ائتلاف قوى المعارضة السورية.

(7) ـ نشر المقال بتاريخ 11/ 10/ 2014م، في موقع الجمعية الدولية للمترجمين العرب تحت العنوان ذاته: شعار أمريكا الحقيقي الأسد أو لا أحد.

(8) ـ أشرنا قبل قليل إلى لعبة نسلِّح ولا نسلِّح، هنا صارت تظهر اصطلاحات جديدة غريبة وهي: التسليح بأسلحة غير قاتلة. تكررت هذه التصريحات المضحكة مرارًا على ألسنة المسؤولين الأمريكان والأوربيين، ولقيت الكثير من السخرية من نشطاء الثورة، ووسائل الإعلام ومواقع الإنترنت، منها ما كتبه موقع 25ساعة في 20/ 4/ 2013م: تجديد دعم المعارضة السورية بأسلحة غير قاتلة، وكذلكَ ما كتبه موقع اليوم السابع في 21/ 4/ 2013م: المعارضة السورية تسخر من دعم أمريكا للجيش الحر بأسلحة غير قاتلة. وغيرهما كثير.

(9) ـ قال مدير الاستخبارات الأمريكية جون برينان ذلكَ في كلمة ألقاها أمام مجلس شؤون العلاقات الدولية في نيويورك يوم الجمعة 13 آذار/ مارس 2015م. وقد تداوله وعلق عليه معظم وسائل الإعلام العالمية ووكالات الأنباء والمواقع الإخبارية، منها: موقع روسيا اليوم تحت عنوان: واشنطن وموسكو لا تريدان انهيار مؤسسات الدولة بسوريا، وفي اليوم التالي تناولته قناة الجزيرة ببرنامج ما وراء الخبر تحت عنوان: أمريكا وإسقاط النظام السوري؛ تغير الموقف أم انكشافه؟!. وغيرهما...

(10) ـ تناولته مختلف وسائل الإعلام العالمية وبخاصة ما أثاره من سخط واستغراب، في اليوم ذاته كتب موقع عكس السير: في ذكرى الثورة وقبل لقاء مرتقب مع نظيره الإيراني جون كيري: يجب على أمريكا التفاوض مع بشار الأسد، وكتب موقع التقرير في اليوم التالي: صرخة في فضاء الإنترنت: لا تتفاوض مع القاتل يا كيري، وفي اليوم التالي 16/ 3/ 2015م كتبت صحف النظام

السوري: كيري أقر بشرعية الأسد. وكان هذا عنوان مقال نشره موقع عربي21، رابطه على العنوان نفسه.

(11) ـ تناولت محطة أخبار سوريا تداعيات التصريح والتصريح السابق وبعض التعليقات عليها من قبل السياسيين والمحللين تحت عنوان: أوربا تسابق أمريكا إلى دمشق.

(12) ـ في 7 نيسان/ أبريل 2015م كتبت رأي اليوم: هل غسل الرئيس أوباما يديه من السنة العرب وأصابه اليأس من دول الخليج والسعودية خاصة؟، وفي 9 نيسان كتب الحدث نيوز: هل أعطي الضوء الأخضر لعاصفة ضد الأسد؟. وغير ذلكَ معظم وسائل الإعلام ووكالات الأنباء والمواقع الأخبارية تناولت هذا اللقاء.

(13) ـ ذكر ذلكَ في مذكراته التي صدرت في مطلع عام 2014م التي حملت عنوان الواجب. كتبت عنها مئات المواقع، ركز كل منها على ما يعنيه فيها. وركزت مفكرة الإسلام على هذه الضغوط وكتبت في 18كانون الثاني/ يناير 2014م: تفاصيل الضغوط الخليجية لمنع سقوط نظام مبارك تخوفًا من الإسلاميين.

(14) ـ كان ذلكَ في حلقة الاثنين 30/ 6/ 2014م من برنامج في العمق على قناة الجزيرة، تحت عنوان: تحالف عربي إسرائيلي بواشنطن لإجهاض ثورات المنطقة.

(15) ـ تقدمت جامعة الدول العربية في 6/ 9/ 2011م بمبادرة لتسوية الأزمة في سوريا تتكون من 13 بندًا، تتضمن إجراء انتخابات رئاسية تعددية، ووقف العنف، وتعويض المتضررين، وإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين، وفصل الجيش عن الحياة السياسية والمدنية، وتشكيل حكومة وحدة وطنية ائتلافية برئاسة رئيس حكومة يكون مقبولًا من قوى المعارضة المنخرطة في عملية الحوار وتعمل مع الرئيس.... انظر: المبادرة العربية لحل الأزمة السورية، موقع الجزيرة نت.

(16) ـ كتابات كثيرة تناولت بعثة الدابي قبل وصولها وبعده، والشبهات التي أثارها تقريرها الأول، منها ما كتبه موقع سودان أون لاين في 28/ 12/ 2011م: تحفظ واسع النطاق على ترأس الدابي لبعثة المراقبين إلى سوريا.

(17) ـ تبني أمريكا الحل السياسي المتضمن بقاء بشار الأسد ليس جديدًا، بل بدأ مبكرًا كما أشرنا. في 24/ 6/ 2012م كتب موقع اليسار الثوري السوري: خريطة الطريق الأمريكي الروسي للحل السياسي في سوريا. في 5/ 3/ 2013م صرح كيري من موسكو: الحل السياسي هو الذي يضمن عدم تفكك سوريا. في 4/ 6/ 2014م صرح كيري من بيروت: الحل السياسي هو الحل الوحيد في سوريا. وفي 22/ 6/ 2016م صرح بذلكَ أيضًا من القاهرة. في 30/ 12/ 2014م كتب موقع العربية نت: واشنطن: نأمل بدور روسي فاعل لدعم حل سياسي في سوريا. في 2/ 3/ 2015م نشرت سكاي نيوز تصريح كيري: نشدد على حل سياسي في سوريا.

(18) ـ تناولت الصحافة الأمريكية هذا التصريح ضمن جملة تصريحاته مع ديمبسي، وعلى ذلكَ كتب موقع الجزيرة نت في 14/ 11/ 2014م: هيغل: الأسد جزء من الجهود ضدَّ تنظيم الدولة.

(19) ـ كتب موقع التقرير في ذلكَ في 28/ 2/ 2015م: لماذا حجبت مصر والجامعة العربية مقعد سوريا عن المعارضة للمرة الثانية؟، وكتب موقع كلنا شركاء نقلًا عن مروة: الائتلاف لن يشارك في مؤتمر القاهرة.

(20) ـ ألقي الأمر على عاتق السيسي الذي لم يكن ليفكر في ذلكَ لولا إيمانه بموقف القادة العرب أو أكثرهم، فقد كتب كثيرون في ذلكَ، منها: كتب موقع الأردن العربي في 29/ 3/ 2015م: من كواليس القمة العربية... السيسي كان يريد دعوة الأسد لقمة شرم الشيخ.. والسعودية رفضت. وكتبت جريدة المجد الأردنية في 30/ 3/ 2015م: السعودية تمنع السيسي من دعوة الأسد لقمة شرم الشيخ، وغيرهما كثير.

(21) ـ في ذلكَ كتب موقع عكس السير في 3نيسان/ أبريل 2015م: الأمن المصري يمنع الائتلاف السوري من إقامة مؤتمر صحفي في القاهرة.

(22) ـ انظر في ذلك مثلًا ما كتبه موقع السوسنة في 22/ 6/ 2013م تحت عنوان: تدريب الجيش السوري الحر سرًّا في الأردن.

(23) ـ خبر تداوله معظم وسائل الإعلام العالمية، منها: مركز الشرق العربي في 17/ 9/ 2014م: ملف دعم المعارضة السورية عسكريًّا أمام الكونغرس.

(24) ـ خبر تداوله معظم وسائل الإعلام العالمية، منها: الأثير نيوز في10/ 10/ 2014م : الخارجية الأمريكية: تركيا وافقت على دعم تدريب وتجهيز المعارضة السورية المعتدلة.

(25) ـ انظر في ذلكَ على سبيل المثال رأي اليوم بتاريخ 17/ 2/ 2015م: واشنطن تعلن التوافق مع تركيا على تدريب وتسليح معارضين سوريين على أن يتم قريبًا توقيع الاتفاق بين واشنطن وأنقرة.

(26) ـ خبر تداولته وسائل الإعلام، انظر على سبيل المثال: نيسان نيوز: البنتاغون: تدريب المعارضة السورية يبدأ الأسبوع المقبل.

(27) ـ خبر تداولته وسائل الإعلام، منها: موقع السبيل: أمريكا تلمح لإمكانية استخدام المعارضة السورية برنامج التدريب في قتال النظام. مع الانتباه إلى تفاصيل النص التي تنتهي إلى الشاهد المذكور.

(28) ـ كان ذلكَ في 22/ 11/ 2014م في لقاء على قناة الجزيرة الفضائية. وجاء على لسان أكثر من مسؤول أمريكي في تصريحات متعددة، منهم أوباما وكيري.

(29) ـ كان ذلكَ في جلسة الاستماع في الكونغرس في الثلاثاء 9/ 12/ 2014م للحصول على تفويض بالحملة العسكرية، انظر على سبيل المثال القدس العربي في 10/ 12/ 2014م: كيري يطالب الكونغرس بإطلاق يد أوباما في الحرب ضد داعش.

(30) ـ كلام تناقله معظم وسائل الإعلام والمواقع الإخبارية، منها: موقع كلنا شركاء في 20/ 11/ 2014م: روبرت فورد: أصبحنا القوات الجوية لبشار الأسد.

(31) ـ صدر البيان في 30/ 10/ 2014م عن مكتب الخارجية الأمريكية، تلته المتحدثة باسم الخارجية جنيفر ساكي. انظر على سبيل المثال موقع وطني نيوز: واشنطن مذهولة من قصف طائرات النظام السوري لمدينة الرقة.

(32) ـ قال بعد لقائه نظيره الأردني ناصر جودة في واشنطن، الأربعاء 14/ 2/ 2013م: إنَّهُ يأمل أن يقتنع الأسد بالدخول في مفاوضات مع المعارَضة لحل الأزمة السورية. تصريح تداولته مختلف وسائل الإعلام في حينه.

(33) ـ كان ذلكَ في لقاء معه نشرته جريدة نيويورك تايمز يوم الأربعاء 11/ 5/ 2011م، وتداوله مختلف وسائل الإعلام العالمية والعربية حينها. تحدثت قناة الجزيرة وموقعها عن التصريح قبل نشره في 10/ 5/ 2011م تحت عنوان: مخلوف: استقرار إسرائيل مرتبط بسوريا، وفي اليوم التالي تحدثت قناة وموقع فرنس24 بتاريخ 12/ 5/ 2011م بعنوان: رامي مخلوف ابن خال الأسد: لن يكون هناك استقرار في إسرائيل إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا.

(34) ـ كان ذلكَ في لقاء معه على الإذاعة الإسرائيلية، الحديث طويل، انظر موقع وكالة جراسا: إسرائيل: سقوط الأسد كارثة كبيرة ستؤدي إلى قيام إمبراطورية إسلامية بالمنطقة. وكذلكَ موقع عمون في 17/ 11/ 2011م: إسرائيل: سقوط الأسد سيعجل بنهايتنا.

(35) ـ كلام تداوله كثير من وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، انظر موقع حركة التحرير الفلسطيني: مقتطفات من الإعلام العربي والدولي، بتاريخ 19/ 12/ 2013م.

(36) ـ من تسريبات تداولها نشطاء الثورة في الربع الأخير من عام 2011م.

(37) ـ تمت الإشارة إلى هذا في حديث برينان أمام مجلس شؤون العلاقات الدولية في نيويورك يوم الجمعة 13 آذار/ مارس 2015م في بدايات البحث.

The Reality Of The US Position On The Syrian Revolution

DR. EZZAT ELSAYYID AHMED

The scourge of the Syrian revolution and the scourge of the Arabs and the Muslim world is that they presuppose that the USA (the Genie) is the ruler by God's command in earth; and what the US says is what must be. Therefore they wait all the time for the ideas and statements from the American elephant or donkey to tailor their thoughts to fit and conduct their behavior according. And this is the biggest crime they have committed and still committing against themselves as well as their people their countries and their religion.

The greatest danger and the greatest calamity of the lack of understanding for the truth about the US position is putting the revolution in maze for four years now by pursuing what should not be pursued and ignoring the right things to do.

And many still first and foremost political and military leaders of the revolution believe that the US stands with the Syrian revolution. There are so many media statements by senior US politicians that say it loud and clear: Assad has lost legitimacy Assad must leave. And more statements about supporting Syrian opposition and acting to support the Syrian opposition and approving to training the Syrian opposition.

What is the real position of the United States towards the Syrian revolution?

The positions of international Institutions and states will not discussed as they are all echoing the US position and will; not to mention the similarities of positions of most of the world countries with the US position though for different reasons.

Although the paper only discusses the US position tracking it in detail would take a very long time. The problem that would be faced is the contradiction between the real position and what it seems to be despite the presence of dozens of evidences and clues that indicate clearly the US position toward the Syrian revolution and exploding all the bubble statements.